المحاضرة الثالثة: موضوع علم الاجتماع

تمهيد:

تبلور وتطور أي اختصاص علمي سواء في مجال العلوم الطبيعية او الاجتماعية، أمر مقرون بماهية الموضوع الذي يعنى به، والإشكالات التي ينكب عليها بالبحث والدراسة. هذه الحقيقة تسري أيضا على تخصص علم الاجتماع، والذي تعد محاولة ضبط محاور اهتمامه وتحديد مجالات البحث فيه مسألة ليست وليدة اليوم، بل تجلت ملامحها في ما أبداه المؤسسون الأوائل من جهد واسهام في هذا الإطار، حيث سارع كل واحد منهم إلى بلورة تصور خاص به حول القضايا والمواضيع التي ينبغي أن يهتم بها هذا الأخير، وأتبعهم العلماء المعاصرون الذين قدموا بدورهم اسهامات في هذا المجال، كما سنتبينه بشكل أكثر في التفصيل اللاحق.

أولا. موضوع علم الاجتماع عند ابن خلدون: اعتبر **ابن خلدون** أن موضوع هذا العلم هو "العمران البشري" كما سماه، فالاجتماع الإنساني بما يتضمنه من حوادث أو وقائع اجتماعية تتصل بجميع أوجه النشاط الإنساني الديني والأخلاقي والاقتصادي والثقافي.. كلها تفاصيل يدرسها هذا العلم.

هذا التصور، ترتب عنه تقسيم موضوعاته إلى أقسام فرعية، يضم كل منها طائفة من الظواهر الاجتماعية المتجانسة، ويقودنا هذا التقسيم الذي صاغه ابن خلدون، إلى:

- علم العمران البشري على الجملة
- العمران البدوي: ويشمل دراسة القبائل والأمم المتوحشة.
- العمران الحضري والبلدان والأمصار.
- الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية.
- في وجود الكسب والصنائع والمعاش وما يعرض في ذلك.
- في العلوم والصناعات، والتعليم وطرقه وسائر وجوهه، وما يعرض في ذلك من الأحوال.

ثانيا. موضوع علم الاجتماع عند أوجست كونت: يرى **كونت** أن الموضوع الرئيسي للدراسة في علم الاجتماع هو الظواهر الاجتماعية، ورغم أنه لم يحاول تعريف هذه الظواهر، أو تحديد خصائصها على النحو الذي فعله فيما بعد **دوركايم**، إلا أنه شدد على ضرورة أن تدرس هذه الأخيرة بنفس الروح التي تدرس بها الظواهر الفلكية أو الفيزيائية، أي على أساس أنها تخضع لقوانين طبيعية ثابتة يمكن للبحث العلمي أن يكشف لنا عنها،

فلو استطاع علم الاجتماع أن يبلغ مستوى تطور العلوم الطبيعية، فسيكون بإمكانه أن يضع معلوماته موضع التطبيق، ما يعني أن عملية إعادة تنظيم المجتمع يمكن أن تبدأ.

هذا التصور، قاده إلى تقسيم مواضيع هذا العلم الناشئ إلى قسمين فرعيين، وهما:

- القسم الأول: وسماه الديناميكا الاجتماعية، ويهتم بدراسة الاجتماع الانساني من حيث تطوره وتغيره من حال لأخر.
- القسم الثاني: ويصطلح على تسميته ب: الاستاتيكا الاجتماعية. ويدرس المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها، وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها.

ويحظى القسم الأول في نظره بأهمية أكثر من الثاني، وذلك لأن الاستاتيكا تعتمدا كثيرا على النظريات الديناميكية، ولا يمكن الوصول إلى القوانين الاستاتيكا إلا بعد كشف القوانين الديناميكية في المجتمع. ولهذا فإن حديثه عن القسم الأول يعتبر الجزء الجوهري والأكبر في مؤلفاته وفلسفته.

وجاء تفكير كونت انعكاسا للأحداث المضطربة التي اتسم بها عصره، حيث أدخلت الثورة الفرنسية تغييرات مهمة على المجتمع، كما بدأ التصنيع المتنامي في تعديل أساليب الحياة التقليدية للفرنسيين، ومن هنا سعى إلى وضع علم جديد للمجتمع، يهتم بتفسير القوانين التي تنظم حياة الواقع الاجتماعي مثلما هو الحال في العلوم الطبيعية.

ولقد وجد تصنيف **كونت** اتفاق كبيرا من جانب العديد من علماء الاجتماع، حيث ظل مأخوذا بها في الكثير من الدراسات السوسيولوجية اللاحقة، أين ظهر هذا التقسيم تحت أشكال ومسميات مختلفة.

ثالثا. موضوع علم الاجتماع عند اميل دوركايم: تشمل موضوعات علم الاجتماع حسب منظور **دوكايم** دراسة جميع مظاهر الحياة الاجتماعية، ودراسة قضايا العلوم الأخرى، وقسم موضوعات هذا العلم إلى قسمين رئيسيين، وهما:

- المورفولوجيا الاجتماعية: وتحتوي على دراسات لجغرافيا البيئة وعلاقة ذلك بالتنظيم الاجتماعي، وكذلك دراسة السكان من حيث كثافتهم وتوزيعهم
- علم الوظائف الاجتماعية: ويشمل الاجتماع الديني والأخلاقي والقضائي والاقتصادي واللغوي والجمالي.

علم الاجتماع العام: وهو فلسفة العلم، ووظيفته جمع النتائج والقوانين العامة التي تصل إليها العلوم الجزئية، ومحاولة التنسيق بينها، كما يهتم بدراسة ماهية العلم وصلته بالعلوم الأخرى، ومناهج البحث وطبيعة المجتمعات.

حيث يهتم القسم الأول بدراسة المجتمع من ناحية الاستقرار، أما القسم الثاني فيهتم بدراسة المجتمع من ناحية تغيره. وهنا يظهر لنا نوع من التقارب في تصور موضوع هذا العلم بين دوركايم وكونت.

رابعا. موضوع علم الاجتماع عند هربرت سبنسر: حدد **سبنسر** في المجلد الأول من كتابه الموسوم ب: "المبادئ" مجالات الدراسة في علم الاجتماع، حيث ذكر أنه على علم الاجتماع أن يوضح لنا كيفية نشوء الوحدات والأجيال المتعاقبة، وكيف يتم تنظيمها بحيث تحقق التعاون المتبادل. ولهذا فإنه يجب البدء بدراسة تطور الأسرة، ثم ينتقل بعد ذلك لوصف وتوضيح تطور التنظيم السياسي الذي ينظم شؤون المجتمع، ويحقق التنسيق بين أفعال الأفراد وينظم تعاملاتهم مع بعضهم البعض. كذلك يجب على هذا العلم أن يصف ويوضح تطور البناء والوظائف الروحية والأخلاقية داخل المجتمع، وأن يعالج القيود الاجتماعية التي يتم من خلالها تنظيم سلوك أعضاء المجتمع. كما أكد **سبنسر** على أهمية دراسة مراحل التطور الصناعي، ونمو الأبنية التنظيمية الناجمة عن هذا التطور.

وبناء على هذا التصور، يمكن حصر مجال الدراسة في علم الاجتماع في مجموعة المواضيع الفرعية الأتية:

- التنظيم السياسي
- النظام الديني
- نسق الضبط الاجتماعي
- المجتمع الصناعي
- التمايز الطبقي
- المجتمعات المحلية
- التنظيمات والهيئات.

خامسا. موضوع علم الاجتماع عند ماكس فيبر: اهتم **فيبر** بجعل موضوع علم الاجتماع العام هو تفسير الفعل الاجتماعي، وذلك بهدف الوصول إلى معرفة أسبابه ونتائجه.

والواقع أن ما طرحه **فيبر** من تعريف لعلم الاجتماع، وما قدمه من موضوعات للبحث السوسيولوجي لا يعبران تعبيرا كافيا عن أهم الملامح البارزة لأعماله العلمية. ويذهب "رنهارت بندكس" إلى أن هناك ثلاثة (03) موضوعات أساسية ركز عليها فيبر في دراساته، وهي:

- العلاقة بين الدين والنشاط الاقتصادي
- العلاقة بين الدين والوضع الطبقي
- تحديد الخصائص المتميزة للحضارة الغربية.

ويمكن أن نعتبر الموضوعين الأول والثاني مؤشرا على تصور فيبر لعلم الاجتماع كنظام علمي يهتم اهتماما فريدا بالعلاقات المتبادلة بين عناصر أو مكونات المجتمع. ويعتبر الموضوع الثالث دليلا على اهتمام فيبر بعلم الاجتماع المقارن الذي يعالج المجتمعات على أنها الوحدات الأساسية في التحليل السوسيولوجي، وذلك بهدف الوقوف على العوامل المسؤولة عن جوانب الاتفاق والاختلاف بين المجتمعات المتباينة زمانيا ومكانيا.

سادسا. موضوع السوسيولوجيا عند علماء الاجتماع المعاصرين: لم تخرج تحليلات علماء الاجتماع المعاصرين بعيدا عن نطاق التصورات التي صاغها الرواد المؤسسون، ولا سيما أنها تركز على دراسة تفاصيل المجتمع الحديث. ونظرا لصعوبة عرض تصورات جميع العلماء المعاصرين، فإننا سنكتفي بعرض أهم المواضيع التي جرى الاتفاق حولها، والتي تتمثل فيما يلي:

1) الوحدات الأولية للحياة الاجتماعية: وتندرج تحت هذا المحور، جملة المواضيع الأتية:

- الأفعال والعلاقات الاجتماعية
- الجماعات والسلالات والطبقات الاجتماعية
- المجتمعات المحلية (الريفية والحضرية)
- الهيئات والمنظمات الرسمية وغير الرسمية
- السكان

2) النظم الاجتماعية الأساسية: يشير هذا المفهوم إلى ذلك النمط المنظم الذي تجري وفقا له شؤون الحياة الانسانية، ومن أهم وابرز النظم الاجتماعية نذكر:

- الأسرة والقرابة
- النظام الاقتصادي
- النظام السياسي والقانوني

- النظام الديني
- النظام التربوي والتعليمي
- النظام الجمالي والتعبيري
- نظام الترويح والدعاية

3) العمليات الاجتماعية الأساسية:

- التباين والترتيب الطبقي
- التعاون والتوافق والتمثيل
- الصراع الطبقي
- الاتصال والرأي العام
- التنشئة الاجتماعية
- القيم الاجتماعية
- الانحراف الاجتماعي والجريمة والانتحار
- التكامل الاجتماعي
- التغير الاجتماعي

سابعا. قائمة مراجع المحاضرة:

1. غريب عبد السميع غريب: **علم الاجتماع: مفهومات، موضوعات، دراسات**، مؤسسة شباب الجامعة، 2009.
2. اسماعيل محمد الزيود: **علم الاجتماع**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
3. أحمد رأفت عبد الجواد:
4. عبد الهادي محمد والي: **المدخل إلى علم الاجتماع**،
5. عبد الله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع: النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2007.
6. نبيل السمالوطي: **البناء النظري لعلم الاجتماع: مدخل لدراسة المفاهيم والقضايا: الجزء الأول**، الطبعة 05، القاهرة، 2007،